﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

بيانُ الحائِلِ بَينَ الكافِرينَ والتَّذكُّرِ بِالقُرْآنِ الكَريمِ

بعد أن أقسم الله تعالى في الآية السابقة على أنَّ القرآن معجزٌ في بيانه، وذو شرفٍ ومَكانة، ومشتملٌ على ما يَعظ النّاسَ ويهديهم؛ ناسب أن ينتقلَ في هذه الآيةِ إلى بيانِ حال الكفّار تجاه الرَّسول والقرآن، وأنَّهم في عناد واستكبار، يحول بينهم وبين التَّذكُّر والإيمان، ويجعلهم مع الرَّسول في نزاعٍ وشقاقٍ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عِزَّةٍ﴾: (عزز) أصلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهُما، مِن غَلَبَةٍ وقَهْرٍ[2]، والمعنى المحوريُّ الذي يدور عليه هذا الأصل: تماسُكُ الجرم الرَّخو حتَّى يبلغَ الشِّدَّة والصَّلابة التّامَّة، فمن حسّيِّه: تَعَزَّز لحمُ الناقة: اشتدَّ، وصلُبَ، ومِن معنويِّه: عَزَزْت القومَ، وعَزَّزْتهم وأعْزَزْتهم: قوَّيتهم، وشدَّدْتهم، ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14][3]، والعِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان مِن أن يُغلبَ، قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: 139]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٦﴾ [العنكبوت: 26]، وقد يُمدح بالعِزَّةِ تارة، ويُذمُّ بها تارة كَعِزَّةِ الكفّارِ، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، ووجهُ ذلك أنَّ العِزَّةَ الَّتي للّه ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقيةُ، وهي العِزَّةُ الحقيقيَّة[4]، والعِزَّةُ التي للكافرين هي: الامتناع والعناد؛ أخذًا مِنَ الاشتداد الَّذي هو أصلُ معنى التَّركيب،

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 130.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عزّ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عزز).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (عزّ)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 61.

فالشَّديد لا يلين، ولا يستجيب للجذب، والقرآن لا يصفهم بالعزَّة الَّتي هي ضدُّ الذِّلَّة[1].

2) ﴿وَشِقَاقٍ﴾: (شقق) أصلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى انصِداعٍ في الشَّيءِ، ومِنَ البابِ: الشِّقاقُ[2]، وهوَ الخِلافُ والمخالفة وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك، وإذا انصَدَعَتِ الجَماعَةُ، وتَفَرَّقَتْ؛ يُقالُ: شَقّوا عَصا المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، أي: مخالفة، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13]، أي: صار في شقٍّ غير شقِّ أوليائه[3]، ويمكن أن يكونَ بمعنى: العداوةِ، قال تعالى: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: 32]، أي: عادوه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـكـافـرون في عداوةٍ واستكبار عن قَبول الهدى الذي جاءهم به الرَّسولُ

تُبَيِّنُ الآيةُ حقيقةَ الكافرين وحالَهم تجاه القرآن الكريم والرَّسول ﷺ، فتوضِّح أنَّهم - دائمًا وأبدًا - في عنادٍ واستكبارٍ عن قبول الهُدى الذي جاءهم به الرَّسولُ من عند الله، وفي مخالفةٍ وعداوةٍ لكلِّ ما لا يتَّفق مع ما وجدوا عليه آباءهم من عبادةٍ للأصنام، ومن عكوفٍ على عاداتِهم الباطلةِ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿بَلِ﴾ ودلالتها في أوَّل الآية:

تحقيقُ أنَّ القرآنَ ذو ذِكـرٍ، وأنَّ الكفّار مشاقّون متعزِّزون

يقول ابن عاشور: ﴿بَلِ﴾ هنا لِلإضرابِ الإبطاليِّ؛ لإبطالِ تَوَهُّم يَنْشَأُ عَنِ الكلامِ الَّذي قَبلَهُ؛ إذ دَلَّ وصفُ (القُرْآنِ) بِـ ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ على أنَّ القُرآنَ مُذَكِّرٌ سامِعيهِ تَذْكيرًا ناجِعًا، فعُقِّبَ بِإزالَة توهُّم مَنْ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عزز).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شقَّ).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (شق).
(4) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 267.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 130.

يَتَوَهَّمُ أنَّ عَدَمَ تَذَكُّرِ الكُفّارِ لَيْسَ لِضَعْفٍ في تَذْكيرِ القُرآنِ، ولَكِن لأنَّهم مُتَعَزِّزونَ مُشاقّونَ، والمَقْصودُ مِنهُ تَحقيقُ أنَّهُ ذو ذِكرٍ، وإزالَةُ الشُّبْهَةِ الَّتي قَد تَعْرِضُ في ذَلِكَ.

ولَكَ أن تَجعَلَ ﴿بَلِ﴾ إضرابَ انتقالٍ مِنَ الشُّروعِ في التَّنويهِ بالقُرآنِ إلَى بَيانِ سَبَبِ إعراضِ المُعرِضينَ عَنْهُ؛ لأنَّ في بَيانِ ذَلِكَ السَّبَبِ تَحْقيقًا لِلتَّنويهِ بالقُرآنِ[1].

الغرضُ من التَّعبير بالاسم الموصول:

ذمُّ الكافرين وبيان السَّبب في عنادهم واستكبارهم

عبَّر النَّظمُ عن الكافرين بالاسم الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دون الاسم الظّاهرِ، فلم يقل: (بل الكافرون)؛ ليتوصَّل بفعل صلتِهِ الماضي: ﴿كَفَرُواْ﴾ - الدالِّ على تشبُّعهم بالكفر ورسوخِهم فيه - إلى ذمِّهم، وإلى بيان السَّبب الذي دفعهم إلى الاستكبار والعناد، ومخالفة الرَّسول ﷺ ومعاداتِه[2]، وهو أنَّ الكفرَ متأصِّلٌ في كيانهم، متغلغل في أعماقهم.

معنى ﴿فِي﴾ ودلالته:

الكافرون متلبِّسون بعزَّةٍ على الحقِّ، حتَّى عَموا عنه

﴿فِي﴾ حرف جر يفيد الظَّرفيَّة المجازيَّة هنا، والتَّعبير به في قوله: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾؛ للإشعارِ بأنَّ ما هم عليهِ مِن عنادٍ ومخالفةٍ للحقِّ، قد أحاط بهم مِن كلِّ جوانبهم، كما يحيط الظَّرفُ بالمظروف[3]، ومِن ثمَّ أعماهم عن اتِّباع الحقِّ والإيمان به[4]، والمَعنى: (مُتَلَبِّسونَ بِعِزَّةٍ عَلَى الحَقِّ[5]، وامتناعٍ واستكبارٍ عن قَبولِهِ).

الغرضُ من تنكير المجرور وتأنيثه:

جيءَ بالاسم المجرورِ وما عطف عليه ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ نكرتَين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 205.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 204.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 130.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 323.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 204.

للتَّفخيم والتَّهويل[1]، والدَّلالة على أنَّهما ليسا مجرَّدَ عناد ومخالفة يمكن للكافرين تجاوزهما، ولكنَّهما عنادٌ ومخالفةٌ استبدّا بهم، وتغلغلا في نفوسِهم، لدرجة أنَّهم لا يستطيعون التَّخلُّص منهما، أو التَّراجع عنهما، ما يدلُّ على "شدَّتهما وتفاقمهما"[2].

جحودُ الكافرين وصدُّهم عن قَبول الحقِّ

دلالةُ عطف (شِقاقٍ) على: ﴿عِزَّةٍ﴾:

جاء النَّظمُ القرآنيُّ بقوله: ﴿وَشِقَاقٍ﴾، الدّالِّ على المخالفة والعداوة، معطوفًا على: ﴿عِزَّةٍ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم لم يكتفوا بالكفر والتَّعزُّز عن التَّذكُّر بالقرآن واتِّباع الرَّسول، وإنَّما أعلنوا الحربَ على الإسلام، وناصبوا الرَّسولَ ﷺ والمؤمنين به العداء والبغضاء.

الكافرونَ لم يكتفوا بالتَّعزُّز عن التَّذكُّر بالقرآن، فناصبوا الرَّسول والمؤمنين العداء

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العِزَّة والكِبْر:

الأوَّل: يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهُما، مِن غَلَبَةٍ وقَهْرٍ، وهو: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يُغلب، قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: 139]، وقد يُمدح به تارة، ويُذمُّ به تارة كَعِزَّةِ الكفّارِ، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، والمرادُ به هنا: الامتناعُ والعناد؛ أخذًا مِنَ الاشتداد الذي هو أصلُ معنى التَّركيب. **والثاني:** يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الصِّغَرِ، وهو: إظهارُ عظم الشَّأْنِ، ورفع النَّفس فَوق الاستِحقاق، فيرى الإنسانُ نفسَهُ أكبرَ مِن غيرِه، وأعظمُ الكِبر الكِبرُ على اللهِ بالامتناع عن قَبولِ الحقِّ والإذعان له بالعبادة[3]، وهو صفةٌ لا ينبغي أن تكونَ إلّا لله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: 23].

الأوَّل يدلُّ على العناد والاستكبار، والثاني إظهارُ عِظَمِ النَّفس ورفعُها فوق الاستحقاق

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 324.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 71.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (كبر).

ولمّا كان الَّذي يحول بين الكفّار وتذكُّرِهم بما يحكيه القرآنُ مِن مواعظَ وأحداثٍ هو الاستكبارُ الممزوج بالعِناد والتَّعزُّز؛ ناسبَ التَّعبير بـ (العِزَّةِ)؛ لاتِّساقه مع حقيقة المشركين وواقعهم.

الشِّقاق والعداوة:

الأوّل يدلُّ على الصَّدع والعداوة الظّاهرة، والثّاني يدلُّ على التَّجاوز القلبيّ

الأوَّلُ: يَدُلُّ عَلى انصِداعٍ في الشَّيءِ، ومِنه الخِلافُ والمخالفة، وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، أي: مخالفة، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13]، أي: صار في شقٍّ غير شقِّ أوليائِه، ويمكن أن يكونَ بمعنى: العداوة، كما قال تعالى: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: 32]، أي: عادوه، أمّا **الثّاني**؛ فيَدُلُّ عَلَى التَّجاوز ومنافاة الالتئام، وتارةً يُعتبر بالقلب؛ فيقال له: العَداوَةُ والمُعاداةُ، وتارةً بالمشي؛ فيقال له: العَدْوُ، وتارةً في الإخلال بالعدالةِ في المعاملة؛ فيقال له: العُدْوانُ والعَدْوُ، قال تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108][1]، ولمّا كانت حقيقةُ الكافرين لا تقتصر على مجرَّد منافاة الالتئام، ولكنَّهم تجاوزوا ذلك إلى العداوة والمشاقَّة، وأعلنوها بصراحةٍ ووضوح؛ كان التَّعبيرُ بـ (الشِّقاق) أنسبَ مِنَ التَّعبير بـ (العداوة) الدّالِّ على مجرَّدِ التَّجاوز القلبيِّ مِن غير إيذاء أو انضواء تحت لواء فريق آخر.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (عدا).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»